النظام الرسمي العربي في حيرة وتوهان

بقلم: علي سعادة / كاتب صحفي أردني...

من أهم أحداث العام الماضي 2023 كان سقوط النظام الرسمي العربي، الذي فشل في إدخال حتى ولو شاحنة مساعدات واحدة دون أخذ إذن دولة الاحتلال، وفشل في إدانة هجوم على سيادة دولة عربية، ولم يكترث للجرائم التي ترتكبها قوات التدخل السريع في السودان، ولا حتى ما يجري في سوريا من جرائم.

وبات تعبير السيادة الوطنية في العالم العربي مثيرا للتهكم، فغالبية الحكومات تلتزم الصمت على ما يحدث في غزة، وإذا تحدثت يكون حديثها مائعا وسائلا لا صلابة ولا قوة فيه، ووصل الأمر بها أن "احتارت" ماذا تقول حول الهجوم على سيادة دولة عربية بتفجير مبنى كان يقيم فيه نائب رئيس المكتب السياسي لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) الشهيد الشيخ صالح العاروري في الضاحية الجنوبية من بيروت.

وأصبح واضحا حتى لغير العرب أن هذا النظام يقوم بدور وظيفي ويبحث عن مصالحه الضيقة، ولا تعنيه القضايا العربية خارج مجاله الحيوي، رغم أن الأمن القومي العربي مترابط ومرتبط بعضه ببعض.

وبأنه لم يتعلم من "طوفان الأقصى" الذي اثبت أن الولايات المتحدة والاحتلال كيانات هشة، مصدر قوتها ضعف الآخرين، واستلامهم لها، وعدم مقاومتهم لها، وفشلهم في استثمار ثرواتهم الطبيعية والمالية وموقعهم الجغرافي الاستراتيجي لمواجهة الصلف والغرور والعنجهية من أمريكا ودولة الاحتلال التي باتت دولة منبوذة لدى شعوب العالم، بوصفها دولة جرائم حرب وإبادة ودولة تقتل الأطفال الرضع والخدج، ويقودها مختلون عقليا.

كانت أمام النظام الرسمي العربي فرصة للخروج من حالة التبعية الكاملة للغرب، وأخذ موقف صريح وموحد، لكنه واصل تمزقه وانقسامه، حتى إنه فشل في مساندة دولة جنوب أفريقيا التي رفعت قضية أمام محكمة العدل الدولية ضد الاحتلال وما يمارسه في غزة من جرائم حرب، وأكثر من ذلك فقد أمعن النظام العربي في تجاهل هذه القضية وكأنها تخص شعباً غير مرئي وخفياً، لا تجري في عروقه دماء عربية.

بالطبع النظام الرسمي العربي ليس وحده الذي يعاني من حالة ضعف وضياع و"توهان" فالإنسان العربي نفسه يعاني من حالة عدم اليقين، وكأنه يعاني من انفصام، إذ تأخذه الحمية أحيانا حتى تحسبه ذاهباً لتحرير فلسطين ثم ما يلبث أن يغفو تحت أغطية العجز وقلة الحيلة وانتظار معجزة، أو حدثا خارقا يقوم به الآخرون نيابة عنه.

في جميع الأحوال النظام الرسمي العربي القديم انهار ولم يبق سوى دفنه، وإذا لم يتدارك العرب أنفسهم قبل فوات الأوان فهم سيبقون تابعين لغيره يتحكمون بهم وبأوطانهم لا حول ولا قوة لهم.